

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدروس الرمضانية (٤)

مجالس

المعتكفين ١٤٢٧ هـ

عمل

اليوم واللييلة

دروس ألقاها :

طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري

مجالس العتكفين ١٤٢٧ هـ

الحمد لله طيباً مباركاً فيه والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشر المعتكفين، هذا هو مجلسنا الأول من مجالسنا في هذا الشهر الفضيل لعام ١٤٢٧ هـ،^١ وهو مجلس يتجدد من مجالس المعتكفين، وقد جلسنا في الأعوام الماضية في الكلام حول تهذيب النفوس والحذر من خطوات الشيطان وغيرها، فأما مجالسنا لهذا الشهر إن شاء الله فستكون عن حديث آخر؛ إنها عن فضائل عمل اليوم والليلة .

أعمال اليوم والليلة أعمال لها فائدة كبيرة بالنسبة للمسالك إلى الله والسائر إلى مرضاته، فهي دليل من أدلة الاستقامة، فإنك إن رأيت الرجل يتأخر عن الفريضة، ويتأخر عن الصف الأول، ويهجر القرآن، ويترك حظه من الليل؛ علمت ضعف استقامته، وإن رأيت يحافظ على أعمال اليوم والليلة؛ فإن هذا دليل على استقامته على الجادة التي أمر بها .

إن هذه الأعمال . أيها الأخوة . هي التي تزرع فينا التربية العبادية، فنحن بحاجة إلى تربية عبادية تلزمنا عبادة الله عز وجل، تكسر قلوبنا لأجل الله، وتدل جوارحنا فيها لأجل الله، فالعبادة لها تربية عظيمة، تسمو بها الروح، وترتقي بها النفس، ويسلك العبد مسالك السعادة والراحة .

إن هذه الأعمال التي حثنا عليها رسولنا صلى الله عليه وسلم من عمل اليوم والليلة لها فوائد كثيرة جداً وهدى؛ فمنها ما يرفع الدرجات، ومنها ما يكفر السيئات، ومنها ما يحفظ الإنسان من شر الشيطان، ومنها ما يقيه الضرر، ومنها ما يجعله في كفاية الله، ومنها ما لا يمنعه من دخول الجنة بعد أن يأتي به إلا أن يموت . فأكرم بها والله من أعمال ! تدعوننا لاكتساب هذه الغنائم الكبيرة .

آخر ما أقوله في هذا المقام : إن مداومتك على أعمال اليوم والليلة هي دليل محبتك لله عز وجل، فمن أحب الله داوم على عبادته وتقرب إليه بطاعته وأحب ما يحب الله عز وجل (وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش به، ورجله التي يمشي بها) أي : أن الله يسدده في هذه كلها، قال : (ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) أصبحت ولياً لله عز وجل يوم أن داومت على هذه الأعمال الطيبة .

وعمل اليوم والليلة يتنوع، قد تكون في صلاة من صلوات النوافل؛ وهذه الصلاة قد تكون نهارية كصلاة الضحى، وقد تكون ليلية كصلاة قيام الليل، تتنوع أعمال اليوم والليلة بين أذكار وأدعية؛ فمنها ما هو ذكر للصباح، أو ذكر للمساء، أو ذكر للنوم، أو ذكر ودعاء مطلق تدعو الله سبحانه وتعالى وتتوجه إليه، منها . أيها الأخوة . الصيام والصدقة النافلة، ومنها قراءة القرآن، ومنها العبادات الاجتماعية؛ العبادات الاجتماعية : كبر الوالدين، كصلة الرحم، كعبادة المريض، كاتباع الجنابة، كإجابة الدعوة ونحو هذه من أعمال اليوم والليلة .

إذاً لنبحر مع هذه الأعمال؛ وسنتكلم . إن شاء الله . أولاً في بيان فضلها؛ لندعو أنفسنا أن نعمل بها فإن الإنسان إذا لاح له بريق الأجر هانت عليه مشقة التكليف، وكثير من الأعمال قصرنا فيها لأننا نسينا أجرها، قمنا بها أول ما قمنا ونحن نستحضر فضلها وعظيم أجرها، فلما نسينا الأجر بدأنا نتكاسل فيها، فلنجدد العزم ولنحث السير ولنذكر أنفسنا بهذه الأجور الكبيرة .

ثم سنتكلم . إن شاء الله . في بعض سننها، فكيف تؤديها كما كان صلى الله عليه وسلم يؤديها، ولعلنا نتطرق . إن شاء الله . لشيء من الأحكام التي نحتاج إليها .

إذاً هذا هو حديثنا، عمل اليوم والليلة .

وأول ما نبدأ به صلاة الضحى .

^١ . ألقبت هذه الدروس بمسجد الريان اعتكاف عام ١٤٢٧ هـ .

الجلس الأول: صلاة الضحى

صلاة الضحى هي الصلاة التي تؤدي في وقت الضحى، فما هو وقتها؟ وما أفضله؟ وكم تُصلى؟
ولنبداً أولاً. كما وعدنا. ببيان عظيم فضل هذه الصلاة.

اسمعوا. أيها الأخوة. وقد تكونون ممن من يدامون على صلاة الضحى، اسمعوا ماذا جعل الله عز وجل من فضائل لصلاة الضحى هذه. يقول صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: "يُصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة" كل مفصل عليك أن تؤدي عنه صدقة كل يوم، وابن آدم كما جاء في بعض الأحاديث ٣٦٠ مفصل؛ إذاً عليك دين قدره ٣٦٠ صدقة يجب عليك أن تؤديها كل يوم فكيف تؤدي هذا الدين؟ ٣٦٠ صدقة جزاء ما أنعم الله عليك وتفضل، قال: "تسليمه على من لقي صدقة"؛ سلمت أخذت صدقة وبقيت عليك ٣٥٩ صدقة، "وأمره بالمعروف صدقة، ونهيه عن المنكر صدقة"؛ فإن أمرت بالمعروف عشر مرات هذه عشر صدقات، وإن نهيت عن المنكر عشر مرات فهذه عشر صدقات، واحسب. قال: "واماطة الأذى عن الطريق صدقة، ويجزئ من ذلك كله ركعتان من الضحى" رواه أبو داود؛ ركعتان من الضحى تسدد عليك ديناً قدره ٣٦٠ صدقة.

أخي في الله، هل تستطيع كل يوم أن تؤدي هذه الصدقات؟ ألا أدلك على ما يسدد عنك؟ ركعة الضحى التي أخبرك صلى الله عليه وسلم. كم نحن نود لو أننا أدينا العمرة هذا العام، لكن للأسف صعبت علينا التأشيرات وزادت علينا التكاليف، وبعضنا تحسّر ورجع مع أنه قد همّ، وبعضنا قد تحسّر لما رأى من ذهب فغبطه على ذهابه إلى تلك البقاع المقدسة وأداء شعيرة العمرة، لكن اسمعوا. معاشر المتخلفين. عن العمرة في هذا الشهر ماذا يقول صلى الله عليه وسلم؟ في حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه عند أبي داود يقول صلى الله عليه وسلم: "من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم" هذا إذا خرج إلى الصلاة المكتوبة كأجر الحاج المحرم "ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين" صلاة الضحى إذا خرجت لأدائها فأجره كأجر المعتمر، وصلاة الفريضة إذا خرجت لأدائها فأجره كأجر الحاج. طبعاً لا تستطيع أن تزيد في الفريضة؛ هي خمس صلوات فقط، لكن ممكن تزيد من صلاة الضحى، صلاة إثرها صلاة؛ إثرها صلاة أي دون أن تشتغل باللهو والكلام بينها؛ كتاب في عليين وتكتب لك كأجر العمرة.

لكن كيف لو أردت أن تجمع بين الحج والعمرة؟ لأن أفضل الحج. أيها الأخوة. هو حج التمتع، أن تعتمر وتحج في سفرة واحدة، فكيف يُكتب لك في خرجة واحدة عمرة وحجة؟

اسمع لهذا الحديث العظيم؛ عن عبد الله بن غابر: أن أمامة وعتبة بن عبد رضي الله عنهما حدثاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة الصبح في جماعة، ثم ثبت حتى يُسبح لله سبحانه الضحى، كان له كأجر حاج ومعتمر تاماً له حجه وعمرة" رواه الطبراني، وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة.

إذاً إذا خرجت إلى صلاة الصبح وثبت في مصلاك تذكّر الله عز وجل، وصليت صلاة الضحى بعد ارتفاع الشمس؛ فإنك ترجع بأجر الحاج والمعتمر.

أخي في الله، إنك تزعم كثيراً لو استطعت لذهبت إلى الحج، لذهبت إلى العمرة مهما طالّت المسافة، مهما ازدادت المشقة، مهما عظمت النفقة، فلماذا لا توفي بكلامك هذا وتجلس بعد صلاة الفجر حتى تصلي صلاة الضحى فيكتب لك هذا الأجر كله أجر حاج ومعتمر تاماً له حجه وعمرة؟! حجه وعمرة؟!

ومرة من المرات؛ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً، فإذا بهذا البعث يسرع في الرجوع، ويُعظم في الغنيمة، تعجب أحد الصحابة، فقال: يا رسول الله ما رأينا مثل هذا البعث، أسرع الرجعة وأعظم الغنيمة! يعني ذهبوا ورجعوا بسرعة، وبعض السرايا تأخذ أسابيع وأشهر، وهؤلاء رجعوا بسرعة وأتوا بغنائم كثيرة . فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما ذكر هذا الرجل من حال هذه الدنيا؛ دله على ما هو خير قال : " ألا أخبركم بأسرع كرة وأعظم غنيمة من هذا البعث؟ رجل توحى في بيته " اسمع . أخي في الله . لأنها على خطوات : الخطوة الأولى : " رجل توحى في بيته فأحسن وضوءه، ثم تحمل إلى المسجد فصلى فيه الغداة . يعني الفجر . ثم عقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة " ذكره الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة .

إذا الخطوة الأولى : تتوضأ في البيت وتُحسن الوضوء، ثم تأتي المسجد وتصلي صلاة الفجر، ثم تجلس وتصلي صلاة الضحى؛ هذا خير غنيمة وأسرع رجوع .

أيها الأخوة الكرام، إن فضائل صلاة الضحى كثيرة وكثيرة جداً، وما زلنا نحدّث أنفسنا ونشوقها لهذه الأجور؛ فاسمعوا لحديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، وهو حديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى، يقول عليه الصلاة والسلام : " من صلى الضحى أربعاً . يعني أربع ركعات . وقبل الأولى أربعاً بنى الله له بيتاً في الجنة " أو " بُني له بيتٌ في الجنة " الأولى هي صلاة الظهر . والله أعلم . فإن صليت الضحى أربعاً، وصليت قبل صلاة الظهر أربعاً، يبني الله لك بيتاً في الجنة . ليس هذا فقط، بل أنك لو جعلت الأربع هذه من صلاة الضحى في أول النهار اسمع لحديث يصححه الشيخ مقبل رحمه الله تعالى، يقول عليه الصلاة والسلام : " يا ابن آدم، صل في أول النهار أربعاً أكفك آخره"، الله أكبر تكن في كفاية الله عز وجل، ابدأ نهارك بصلاة أربع ركعات، واجعل الله يكفك ما بقي بعد ذلك من النهار .

إن من أحاديث فضائل صلاة الضحى حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقد أخرجه الحاكم بسند حسن، يقول عليه الصلاة والسلام : " لا يحافظ على صلاة الضحى إلا أواب، وهي صلاة الأوابين " إذاً المداومة على هذه الصلاة تجعلك . أيها المؤمن . من الأوابين، نعم نحن نصلي أحياناً وننسى أحياناً، لكن أين الأوابون؟ فصلاة الأوابين هي صلاة الضحى، والأوابون من هم؟ هم الذين يحافظون على صلاة الضحى . من يذكر لنا آية وعدها الله سبحانه وتعالى لعبده الأواب، آية في القرآن جعلها الله عز وجل لعباده الأوابين ؟ { هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ } ق ٣٢، وقال تعالى أيضاً: { رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً } الإسراء ٢٥ .

أيها الأخوة الكرام، مع هذه الفضائل المتكاثرة لصلاة الضحى، فقد حافظ عليها الصحابة رضي الله عنهم وداوموا عليها، تخيل الآن لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثك ويوصيك بصلاة الضحى، هل كنت ستتركها؟ لو أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أوصاك وصية خاصة بصلاة الضحى هل ستفرط فيها؟، انظروا ما قال الذين أوصاهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أبو هريرة رضي الله تعالى عنه في الصحيحين يقول : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث : النوم على وتر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى .

أبو ذر رضي الله تعالى عنه عند النسائي يقول : أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة لا أدعهن إن شاء الله تعالى أبداً : أوصاني بصلاة الضحى، وبالوتر قبل النوم، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه عند أبي داود، يقول : أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن لشيء : أوصاني بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ولا أنام إلا على وتر، وبسبحة الضحى في الحضر والسفر .

انظر لهؤلاء الصحابة، وكل واحد يقول : أنا أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر صلاة الضحى؛ أبو هريرة، وأبو ذر، وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم؛ لذلك حافظوا رضي الله عنهم على هذه الصلاة ولم يتركوها، بل تقول عائشة رضي الله تعالى عنها وقد كانت تصلي الضحى ثمان ركعات ثم تقول : لو نُشر لي أبواي ما تركتها، والسبب أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا؛ فقال بعضهم : الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يصلي الضحى، فقالت عائشة: لو أتيتم بأي دليل حتى لو بعث لي أبواي ما تركتها؛ لماذا؟ لأنها صلاة كان يصليها ويحث

عليها صلى الله عليه وسلم .

معاشر المعتكفين، إن كنا عرفنا شيئاً من فضائل صلاة الضحى، فكم عدد صلاة الضحى؟ وكم تُصلى؟

سمعنا أنها تجزئك عن ٣٦٠ صدقة إذا صليت ركعتين، لكن ممكن تصلي أكثر، سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها : أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت : نعم أربعاً ويزيد ما شاء الله، رواه مسلم؛ فتصلي ركعتين، والأولى أن تصلي أربع ولك أن تزيد، جاء عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ست ركعات، وجاء عن أم هانئ رضي الله عنها حديثاً رواه الجماعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات . إذاً صلى أربعاً ويزيد، وصلى ستاً، وصلى ثمان، فلك أن تصلي ثمان ركعات، ولك أن تزيد، ويكتب الله لك الأجر: "صلاة في إثرها صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين"؛ فصل ثم صل ثم صل وأكثر من الصلاة .

فمتى وقت صلاة الضحى؟

أما الوقت المشروع؛ فهو من بعد ارتفاع الشمس، إذا ارتفعت الشمس أي بعد الشروق بقرابة ربع ساعة إلى قبل الزوال يعني قبل أذان الظهر بعشر دقائق، هذا وقت صلاة الضحى؛ بعد الشروق بربع ساعة، وقبل أذان الظهر بعشر دقائق . صل في هذا الوقت، والأولى أن تصلي في أول الوقت حتى يكفيك الله في آخر النهار، وحتى تكون كأجر الحجة والعمرة، لكن أفضل أوقات صلاة الضحى ما جاء من حديث زيد بن أرقم عند الإمام مسلم أنه رضي الله عنه رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال : لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة الأوابين حين ترمض الفصال " الفصال : هي صغار الإبل، وترمض : أي أنها تجد حر الشمس في أرجلها فتقوم وتترك المكان، فمتى اشتدت حرارة الشمس في أول النهار؛ حتى أن هذه الإبل الصغار الفصال وجدت حرارة الشمس فإن هذا الوقت أفضل وقت لصلاة الضحى، أفضل وقت لصلاة الضحى في أول ما تشتد الشمس، ولها وقت آخر كان يحصر عليه صلى الله عليه وسلم، يقول عبد الله بن شقيق : قلت لعائشة رضي الله عنها : أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت : لا إلا أن يجيء من مغيبه . رواه أبو داود

إذاً إذا جئت من سفر فأكد ما تكون صلاة الضحى، أكد ما تكون، كان يداوم صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى إذا جاء من السفر، لكن في غيرها ما كان يداوم .

أكان يصلي الضحى؟ المقصود : أكان يداوم على الضحى؟ ما كان يداوم عليه الصلاة والسلام، والسبب في هذا : تقول عائشة رضي الله عنها : وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به؛ خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم .

فرسولنا عليه الصلاة والسلام خشي أن يداوم على هذه النافلة فتُصبح فريضة .

يسأل الكثير من الأخوة عن صلاة الشروق، هل هي نفس صلاة الضحى؟

الجواب : أن صلاة الشروق في وقت صلاة الضحى، لكن الأولى لك أن تصلي صلاتين، ركعتين تنوي بها صلاة الشروق التي فيها أجر الحج والعمرة، ثم تصلي الضحى؛ كما يُفتي بهذا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وإن صليت ركعتين بنية الشروق والضحى فلك الأجر؛ لأننا سمعنا في هذه الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ثم سيح سبحة الضحى " فالضحى تجزئ عن صلاة الشروق، بل لعلها هي نفسها . أخيراً . أيها الأخوة . إليكم هذه السنة التي أظنها غائبة عن كثير منا، ورحم الله من أحيا السنة؛ ماذا تقول بعد أن تصلي الضحى؟ هل أحد منكم يعرف؟ ، إذن أرجو من الله عز وجل أن يكتب لي أجر إحياء هذه السنة .

اسمعوا ما رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح؛ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى، ثم قال : " اللهم اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم حتى قالها مائة مرة " إذاً هذا الذكر الذي تقوله بعد صلاة الضحى : الله اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب

الرحيم مائة مرة فاحرص على هذه السنة .

وقفنا لله وإياكم لطاعته، وغفر لنا ذنوبنا، وجزانا بالإحسان إحساناً، وبالسيئات مناً وغفراًناً .

فالزم - أخي المعتكف - صلاة الضحى، وإلى درس آخر إن شاء الله، نسأل الله أن يعينا أن نكون ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، إنه سبحانه وتعالى قريب مجيب .